

ال التربية الإسلامية - سبل الوصول وعلمات القبول - الدرس (٤٨-٧٠) : الرضا عن الله في السراء والضراء

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠٢-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

الرضا :

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في موضوع يتصل أشد الاتصال بـ: "سبل الوصول وعلمات القبول" ألا وهو "الرضا"، أي أن ترضى عن الله، انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

[سورة البينة الآية : ٨]

حينما تعلم حكمة الله ورحمته وعلمه، لا بد أن ترضى عنه الإمام الجندى - رحمه الله تعالى - يقول: الرضا هو العلم، أنت حينما تعلم حكمة الله، ورحمته، وعلمه، لا بد أن ترضى عنه، وحينما تتطرق من حقيقة في الإيمان دقيقة وهي أن كل شيء وقع أراده الله، وأن كل شيء أراده الله وقع ، لأنه لا يليق بال神性 الإله أن يقع في ملكه ما لا يريد، ومعنى يريد أنه سمح بذلك، قد يسمح ولم يأمر، وقد يسمح ولم يرض.

كل أنواع الشرور في الأرض هي شرور موظفة للخير المطلق :

أيها الأخوة الكرام، كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق، فالشر المطلق لا وجود له في الكون، لأنه يتافق مع وجود الله، هناك شر نسبي.



الإنسان أحياناً حينما يفتح بطنه، ويخر، وستأكل الزائدة الدودية، هذا

الرضا عن الله في السراء والضراء

كل أنواع الشرور في الأرض هي شرور موظفة
للخير المطلق

شرٌّ نسبي من أجل سلامته، ومن أجل استمرار حياته، فدائماً كل أنواع الشرور في الأرض هي شرور موظفة للخير المطلق، لذلك ننطلق في هذا المعنى الدقيق من قوله تعالى:

﴿فَإِمَّا إِلَّا إِنْسَانٌ إِذَا مَا ابْتَأَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَتَعْمَّهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَإِمَّا إِذَا مَا ابْتَأَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾

[سورة الفجر]

أي الإنسان إذا أكرمه الله بنعم لا تعد ولا تحصى في الدنيا يتواهم أن هذا إكرام له، وحينما يزوّي الله عنه نعمة لحكمة بالغة يتواهم أن الله أهانه، فجاء الجواب الإلهي:

﴿كَلَّا﴾

[سورة الفجر الآية : ١٧]

كلا ليست أدلة نفي، أدلة ردّ ونفي، لو أن إنساناً سُئل هل أنت جائع؟ يقول: لا، أما إذا قيل له: هل أنت سارق؟ – وهو إنسان ذو أخلاق عالية جداً – لا يقول: لا، يقول: كلا، أي ما كان لي أن أسرق، ولا أن أقبل بالسرقة، ولا أن أدعوك إليها، ولا أن أرضى بها، ولا، ولا، علماء اللغة عدداً أكثر من عشر حالات نفي بهذه الصيغة "وما كان"، فالله عز وجل قال:

﴿كَلَّا﴾

أي:

((يا عبادي ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء وحرماني دواء))

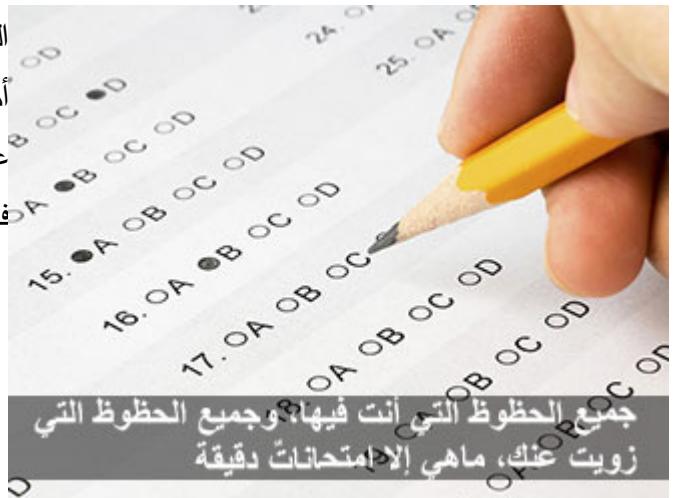
[ورد في الأثر]

حظوظ الإنسان موقوفة على طريقة الحركة من خلالها :

المال هل هو نعمة؟ الجواب: نعم ولا، نعم إذا اكتسب من طريق حلال، وأنفق في وجه حلال، فهو نعمة، أما إذا اكتسب من طريق حرام، وأنفق في وجه حرام، فهو نعمة.

الصحة نعمة أم نعمة؟ إن تقوى الإنسان بالصحة على معصية الله فهي نعمة، وإن تقوى بالصحة على طاعة الله فهي نعمة.

الزوجة نعمة أم نعمة؟ إذا أعانتك على أمر آخرتك فهي نعمة، أما إذا ضغطت عليك حتى حملتك على معصية الله فهي نعمة، كل حظوظ الإنسان ابتلاء،



أو موقوفة على طريقة الحركة من خلالها، فالآية الآن معناها الدقيق .

﴿فَلَمَّا أَنْتَسَانُ إِذَا مَا ابْتَاهُ رَبُّهُ﴾

أي امتحنه بالمال،

﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ﴾

هو

﴿رَبِّيْ أَكْرَمَنِ﴾

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَاهُ﴾

امتحنه بقلة المال،

﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّيْ أَهَانَنِ﴾

يأتي الرد الإلهي،

﴿كَلَّا﴾

لذلك جميع الحظوظ التي أنت فيها، وجميع الحظوظ التي زويت عنك، امتحانات دقيقة، أنت ممتحن شئت أم أبيت، ممتحن فيما أعطاك، ممتحن فيما زوي عنك، ممتحن فيما أنت فيه، ممتحن فيما لست فيه، ممتحن بالمال، ممتحن بفقده، ممتحن بالصحة، ممتحن بفقدها، ممتحن بالوسامة، ممتحن بضدتها، ممتحن بالصحة، ممتحن بالمرض، أي شيء إيجابي هو مادة امتحانك مع الله، وأي شيء سلبي هو مادة امتحانك مع الله، اعلم علم اليقين أنك في دار امتحان، أنت في دار امتحان.

((إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فياخذ ليعطي ويبتلي ليجزي))

[من كنز العمل عن ابن عمر]

الرضا أن يرضى الإنسان عن الله إن أطعاه أو منعه :

إذاً الرضا أن ترضى عن الله إن أطعاك أو منعك، إن قواك أو أضعفك، إن أغناك أو أفقرك، إن عمرت طويلاً وإن كان العمر قصيراً، في بعض الأحاديث الشريفة يقول عليه الصلاة والسلام:



((إن الله عز و جل يحمي عبده
المؤمن كما يحمي الراعي الشقيق
غنمـه من مراتع الـهـلـكـة))

[شعب الإيمان عن حنفية]

فحينما نفهم أن الله سبحانه وتعالى
حينما يزوي عنا نعمـة من نعمـه فـلحـكمـة
بالـغـةـ بالـغـةـ، عـرـفـهاـ منـ عـرـفـهاـ وجـهـلـهـاـ الرـضاـ:ـ أـنـ يـرـضـىـ الإـنـسـانـ عـنـ اللهـ إـنـ أـعـطـاهـ أوـ منـعـهـ
منـ جـهـلـهـاـ،ـ وـالـحـقـيقـةـ لـنـ تـكـوـنـ رـاضـيـاـ

عنـ اللهـ إـلاـ إـذـاـ اـسـتـوـىـ عـنـدـكـ أـنـ تـأـتـيـكـ الدـنـيـاـ أـوـ أـنـ تـرـزـوـىـ عـنـكـ،ـ لـاـ تـعـدـ رـاضـيـاـ عـنـ اللهـ،ـ لـاـ تـبـلـغـ مـقـامـ
الـرـضاـ،ـ إـلاـ إـذـاـ اـسـتـوـىـ عـنـدـكـ أـنـ تـؤـتـيـكـ الدـنـيـاـ أـوـ أـنـ تـرـزـوـىـ عـنـكـ،ـ لـذـكـ مـنـ أـجـمـلـ دـعـيـةـ النـبـيـ صـلـىـ
الـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ:

((اللـهـمـ مـاـ رـزـقـتـنـيـ مـاـ أـحـبـ فـاجـعـلـهـ قـوـةـ لـيـ فـيـمـاـ تـحـبـ،ـ وـمـاـ زـوـيـتـ عـنـيـ مـاـ أـحـبـ فـاجـعـلـهـ فـرـاغـاـ
لـيـ فـيـمـاـ تـحـبـ))

[أخرجه الترمذى عن عبد الله بن يزيد الخطمي]

هـذـاـ المؤـمـنـ أـعـطـاهـ اللهـ المـالـ يـقـولـ:ـ يـاـ رـبـ اـجـعـلـهـ قـوـةـ لـيـ فـيـ التـقـرـبـ إـلـيـكـ،ـ زـوـىـ عـنـهـ المـالـ:ـ يـاـ
رـبـ اـجـعـلـ الـوقـتـ الـذـيـ نـتـجـ عـنـ إـبـعادـ الـمـالـ عـنـيـ قـرـبـةـ إـلـيـكـ.

من خصائص المؤمن أنه شاكرٌ في السراء صابرٌ في الضراء :

أـبـهـاـ الـأـخـوـةـ،ـ بـيـنـمـاـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـاعـدـ مـعـ أـصـحـابـهـ إـذـ ضـحـكـ،ـ فـقـالـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ
وـالـسـلـامـ:ـ أـلـاـ تـسـأـلـونـيـ مـمـ أـضـحـكـ؟ـ قـالـواـ:ـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ وـمـ تـضـحـكـ؟ـ قـالـ:

((عـجـباـ لـأـمـرـ الـمـؤـمـنـ !ـ إـنـ أـمـرـهـ كـلـهـ لـهـ خـيـرـ،ـ وـلـيـسـ ذـلـكـ لـأـدـدـ إـلـاـ لـلـمـؤـمـنـ،ـ إـنـ أـصـابـتـهـ سـرـاءـ
شـكـرـ،ـ فـكـانـ خـيـرـاـ لـهـ،ـ وـإـنـ أـصـابـتـهـ ضـرـاءـ صـبـرـ،ـ فـكـانـ خـيـرـاـ لـهـ))

[أخرجه مسلم عن صحيح الرومي]

هـذـهـ مـنـ خـصـائـصـ الـمـؤـمـنـ،ـ شـاـكـرـ فـيـ
الـسـرـاءـ،ـ صـابـرـ فـيـ الـضـرـاءـ،ـ إـذـ جـاءـ
الـأـمـورـ كـمـاـ يـتـمـنـىـ يـقـولـ:ـ الـحـمـدـ لـهـ،ـ فـإـذـ
جـاءـتـ بـخـيـرـ مـاـ يـتـمـنـىـ يـقـولـ:ـ الـحـمـدـ لـهـ،ـ
وـهـنـاكـ حـمـدـ مشـهـورـ عـنـ عـامـةـ النـاسـ:
الـحـمـدـ لـهـ الـذـيـ لـاـ يـحـمـدـ عـلـىـ مـكـروـهـ



من خصائص المؤمن أنه شاكرٌ في السراء، صابرٌ
في الضراء

سواء، والذي يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتُ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرُهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ))

[أخرجه ابن ماجه عن عائشة أم المؤمنين]

فالمؤمن شاكر وحمد، قيل لأحد العلماء الكبار: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ تحدثنا في لقاء سابق عن فرق دقيق بين المقام والحال، المقام كنبي وثبت، والحال وهبي وطارئ، وأحياناً إنسان يكون في حال رضا بجو معين، بمكان معين، مع أشخاص معينين، أما مقام الرضا مقام دائم وثبتت، وهو كنبي، فسئل هذا العالم الجليل: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول، يقول هذا العبد المؤمن الراضي: يا رب إن أعطيتني قبلت، وإن منعتي رضيت، وإن تركتني عدت، وإن دعوتني أجبت.

الأمر حينما يتضح جلياً فطاعة الله فيه تضعف قيمتها العبادية :

أخواننا الكرام، فكرة دقيقة جداً: أنت حينما تطيع الله في أمر اتضحت لك حكمته، وحينما تتكلأ في طاعة الله في أمر لم تتضح لك حكمته، أنت إذاً لا تعبد الله، ولكنك تعبد ذاتك، الشيء الذي اقتتنع به أنه سيعود عليك بالخير أطعت الله به، والشيء الذي لم تتضح لك حكمته تلأت في طاعة الله به، هذا الإنسان لا يعبد الله، يعبد ذاته.

بالمناسبة: كلما اتضحت حكمة الأمر ضعف الجانب العبادي فيه، وكلما غابت عنك حكمة الأمر ازدادت قيمة العباد فيه، أي أعلى عبادة في تاريخ البشرية عبادة سيدنا إبراهيم :

﴿ يَا بَنَيَ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُذْبَكُ ﴾

[سورة الصافات الآية : ١٠٢]

أي هناك شيء مقبول، وشيء غير مقبول، أمره الله أن يذبح ابنه، الشاب النبي الذي بلغ معه السعي :

﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعُلْ مَا تُؤْمِرُ ﴾

[سورة الصافات الآية : ١٠٢]

طبعاً الحكمة ليست واضحة إطلاقاً من ذبح ابنه:

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَهُ لِلْجَبَنِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَقْتَ الرَّوْيَا ﴾

[سورة الصافات]

﴿ وَنَادَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة الصافات]

إِذَا الْأَمْرُ حِينَما يَتَضَعُجْ جَلِيًّا فَطَاعَةُ اللَّهِ فِيهِ تَضَعُفُ قِيمَتِهَا التَّعْبُدِيَّةُ، وَحِينَما تَغِيبُ عَنِ الْحُكْمِ تَزَدَّادُ قِيمَةُ التَّعْبُدِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، لِلتَّقْرِيبِ: أَبْ أَمْرَ ابْنِه بِتَنْظِيفِ أَسْنَانِهِ، الْأَمْرُ وَاضْحَى لِمَصْلَحةِ الْابْنِ، لِمَصْلَحةِ سَلَامَةِ أَسْنَانِهِ، وَكَلَّمَا أَعْطَى الْأَبْ أَمْرًا لِابْنِهِ، الْحُكْمَةُ وَاضْحَى جَدًّا عِنْ الْابْنِ، فَالْابْنُ يَبَدِّرُ إِلَى تَطْبِيقِهَا، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ بَادَرَ إِلَى تَحْقِيقِ مَصَالِحِهِ، لَكِنْ لَوْ أَنَّ الْابْنَ بِحَالَةِ الْجُوعِ شَدِيدَةٍ، وَالْطَّعَامُ نَفِيسٌ، وَالْطَّعَامُ احْضَرَهُ الْأَبُ، وَهَذَا الْوَلَدُ ابْنُهُ، قَالَ لَهُ: يَا بْنِي لَا تَأْكُلُ، الْأَمْرُ غَيْرُ وَاضْحَى، يَا أَبِتِ ابْنِكَ، وَأَنَا جَائِعٌ، وَهَذَا طَعَامُكَ مِنْ لِي غَيْرِكَ؟ لَا تَأْكُلُ، فَقَالَ لَهُ: سَمِعًا وَطَاعَةً يَا أَبِي، لِأَنَّ الْحُكْمَةَ مِنْ هَذَا الْمَنْعِ لَيْسَ وَاضْحَى، فَلَمَّا وَقَفَ الْابْنُ مُوقَفَ الْمُتَأْدِبِ مَعَ أَبِيهِ كَانَ فِي أَعْلَى درَجَاتِ الْقُرْبِ مِنْ أَبِيهِ.

حِينَما يَأْتِيكَ أَمْرٌ إِلَيْهِ وَلَيْسَ الْحُكْمَةُ وَاضْحَى عِنْكَ مِنْهُ، وَتَبَادِرُ إِلَى طَاعَتِهِ، فَأَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ، أَمَا لَا تَطْبِقُ إِلَّا الْأَمْرُ الَّذِي تَقْتَنِعُ بِهِ فَأَنْتَ عَنْدَهِ تَعْبُدُ ذَاتَكَ، وَلَا تَعْبُدُ اللَّهَ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: عَلَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ.

علة أي أمر أنه أمر :

أَنَا لَا أَنْسَى لِقاءَ تَمٍّ بَيْنَ عَالَمَ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّامِ، وَعَالَمٌ فِي أَمْرِيْكَا مِنْ أَصْلِ أَمْرِيْكَيِّيْ هَدَاهُ اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، جَاءَ مَوْضِيَّعَ لَحْمِ الْخَنْزِيرِ، هَذَا الْعَالَمُ الدَّمْشِقِيُّ وَلَهُ أَجْرٌ عِنْ اللَّهِ أَفَاضَ وَأَسْهَبَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ مَضَارِ لَحْمِ الْخَنْزِيرِ لِسَاعَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، فَلَمَّا انتَهَى مِنْ شِرْحِهِ الطَّوِيلِ، وَأَدَلَّهُ الْعُمَيقَةَ، وَتَحْلِيلَهُ الدَّقِيقَ، ابْتَسَمَ هَذَا الْعَالَمُ الْأَمْرِيْكِيُّ وَقَالَ لَهُ: كَانَ يَكْفِيَكَ أَنْ تَقُولَ لِي: إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُ.



علة أي أمر أنه أمر

لَأَنَّكَ أَنْتَ مَعَ طَبِيبٍ مِنْ بَنِي جَلَّ دِلْكَ، يَحْمِلُ شَهَادَةَ عَلَيْهِ مِنْ بَلْدِ مَتَقْدِمٍ جَدًّا، قَالَ لَكَ: دَعْ الْمَلْحَ، قَدْ لَا يَخْطُرُ فِي بَالِكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِمَذَا؟ هَذَا قَالَ الطَّبِيبُ، قَدْ يَقُولُ لَكَ الطَّبِيبُ: بَعْ بَيْنَكَ فِي الطَّابِقِ الْمَرْتَقِعِ، وَتَكُونُ أَنْتَ قَدْ اعْتَتَيْتَ بِهِ وَبِكْسُوتِهِ عَنْيَايَةَ فَائِقَةً، وَتَكْلَفْتَ مِبَالَغَ طَائِلَةً، وَأَمْضَيْتَ وَقْتًا طَوِيلًا فِي كَسْوَتِهِ، فِي الْيَوْمِ التَّالِي تَبِعِيهِ، الطَّبِيبُ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ لَا يَنْسَبِنِي.

فَأَنْتَ مَعَ إِنْسَانٍ عَادِيٍّ تَنْقُ بِعِلْمِهِ لَا تَفْكِرُ فِي مَنَاقِشَةِ أَوْ أَمْرِهِ، فَكِيفَ مَعَ الْوَاحِدِ الْدِيَانِ؟ لَذَلِكَ قَالُوا: عَلَةُ أيِّ أَمْرٍ أَنَّهُ أَمْرٌ وَكَفِيٌّ، هَذَا الْمُؤْمِنُ، فَأَنْتَ حِينَما تَطْبِقُ تَنْقُطَفُ كُلَّ ثَمَارِ الدِّينِ، أَمَا حِينَما

تحل، وتفلسف، وتبث عن الحكمة، يمكن أن تقنع الناس بذلك، تتقلب إلى داعية، أما العابد لله يقطف كل ثمار الدين من تطبيق الأمر.

وأوضح فكرة في هذا الموضوع أن الانقاض بالشيء ليس أحد فروع العلم به، إنسان لا يقرأ ولا يكتب، اشتري مكيفاً، ضغط على مفتاح التشغيل فجاءه الهواء البارد، وإنسان آخر يحمل دكتوراه بالتكيف، اشتري مكيفاً، ضغط على مفتاح التشغيل جاءه الهواء البارد، فالانقاض بالهواء البارد وبخصائص هذا المكيف ليست متعلقة بفهم آلية العمل، هذا الدين كالهباء للناس، يطبقه المؤمن الأمي والمتلقف، من فهم الحكمة ومن لم يفهمها، هذا هواء للناس، فالذى يطبق أوامر الدين يقطف كل ثماره ولو لم يقف على حكمة هذه الأوامر لكنه عابد، أما الذي وصل إلى حكمة الأوامر فيمكن أن يكون داعيةً يقنع الناس بهذا الدين.

الله عز وجل عزيز يمتحن صدق الإنسان وصبره فإن رآه صادقاً أعطاه :

أيها الأخوة، الله عز وجل عزيز، ومعنى عزيز أي الشيء الذي تطلبه منه لا تأخذه فوراً، يمتحن صدقك، لذلك قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾

[سورة العنكبوت الآية : ٥]

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُّلًا﴾

[سورة العنكبوت الآية : ٦٩]

لا تتصور أن القضية ببساطة بالغة، طلب الجنة من دون عمل ذنبٍ من الذنوب، فالله عز وجل عزيز يمتحن صدقك، وصبرك، وإحراحك، وسعريك، فإذا رأك صادقاً أعطاك.

من غابت عنه حكمة ما أصابه فهو بحاجة إلى الصبر :

أيها الأخوة قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

[سورة الطور الآية : ٤٨]

الحقيقة الإنسان متى يصبر؟ حينما لا تتضح الحكمة، إنسان راشد بالغ عاقل، قال له طبيب الأسنان: قلبك لا يتحمل المخدر، وسوف أقلع لك هذا السن من دون مخدر فعليك تحمل الألم، الإنسان واع، وهذا كلام دقيق.



لذلك حينما يأتي الألم الذي لا يحتمل يتجلد ولا يتكلم، ما الذي أعنده على الصبر؟ توضيح الطبيب له، فهو بالغ، وعاقل، وراشد، لكن حينما تغيب عنك الحكمة أنت الآن في حاجة إلى الصبر. إنسان يأكل المال الحرام، يخالف الله هذا المال، لكن أحياناً إنسان وهو مستقيم على أمر الله تائيه مصيبة، هنا تحتاج إلى الصبر، قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

الآيات المتعلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن منها نصيب :

لكن الآية التي تذيب الإنسان.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور الآية : ٤٨]



ولي رأي في هذا الموضوع، أن كل آية موجهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن منها نصيب، بقدر إيمانه وإخلاصه، فإذا الله عز وجل قال للنبي الكريم:

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

فيها أيها المؤمن الصادق المخلص المتفاني في طاعة الله، إذا جاءتك الأمور على خلاف ما تريده فاعلم

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

هكذا تقتضي الحكمة.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

فالآيات المتعلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن منها نصيب.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيلِ فَسِبِّحْهُ وَإِذْبَارَ النُّجُومِ﴾

[سورة الطور]

أيها الأخوة، مما جاء في بعض الأحاديث القدسية:

((يا ابن آدم لا تَعْجِزْ من أربع ركعات في أول نهارك، أكْفُكَ آخرَه))

[أخرجه أبو داود عن نعيم بن همار]

صدقوا ولا أبالغ أن كل واحدٍ من الأخوة وقد جاء لصلاة الفجر، وترك فراشه الوثير، وسار في الطريق إلى بيت الله عز وجل كأنه في نمة الله حتى المساء.

((لا تَعْجِزْ مِنْ أَرْبَعْ رُكُعَاتٍ فِي أَوْلَى نَهارَكَ ، أَكْفَكَ آخِرَهُ))

فإنك في هذا اليوم بأعيننا، فإنك في هذا اليوم بحفظنا، فإنك بهذا اليوم في توفيقنا، فإنك بهذا اليوم في رعايتنا، شيء جميل جداً،

((من صَلَى الصَّبَحَ فِي جَمَاعَةٍ فَهُوَ فِي ذَمَّةِ اللَّهِ))

[أخرجه الطبراني عن أبي بكرة]

((مَنْ صَلَى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَانَمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيلِ ، وَمَنْ صَلَى الصَّبَحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَانَمَا صَلَى اللَّيلَ كُلُّهُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى ومالك عن عثمان بن عفان]

عدم التناقض بين الألم من المصيبة و
الرضا عن الله عز وجل :

أيها الأخوة، هناك ملاحظة مهمة جداً،
الألم عند المصيبة لا يلغى الرضا،
النبي الكريم عليه أتم الصلاة والتسليم
دمعت عيناه حينما مات ابنه إبراهيم،
فالصحابية دهشوا قالوا: يا رسول الله:
أتبكي؟ قال:



((تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزُنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ ، لَوْلَا أَنَّهُ وَعْدٌ صَادِقٌ ، وَمَوْعِدٌ جَامِعٌ ،
وَأَنَّ الْآخِرَ تَابِعٌ لِلْأَوَّلِ ، لَوْجَدْنَا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَفْضَلَ مِمَّا وَجَدْنَا ، وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ))

[أخرجه ابن ماجه عن أسماء بنت يزيد]

هذا الموقف سليم، المصيبة تؤلم، وحينما يتألم الإنسان من مصيبة لا يعني أنه ليس راضياً عن الله، لا يوجد تناقض أبداً بين الألم من المصيبة وبين الرضا عن الله عز وجل.

بطولة الإنسان أن يقف من المصيبة الموقف الكامل لأن الدنيا دار ابتلاء :

بالمناسبة أيها الأخوة، ليست البطولة أن تتجو من مصيبة أبداً، قال تعالى:
﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَدِئِينَ ﴾

[سورة المؤمنون]

ولكن البطولة أن تقف منها الموقف الكامل، ليست البطولة أن تتجو من مصيبة لا أحد ينجو منها لأن هذه الدنيا دار ابتلاء،

﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَدِئِينَ﴾

والإمام الشافعي سُئل: "ندعو الإله بالابلاء أم بالتمكين؟ قال: لن تتمكن قبل أن تبني" فالابلاء قدرنا، والبطولة لا أن تتجو من ابتلاء بل أن تقف الموقف الكامل من هذا الابلاء. قيل للحسين بن علي - رضي الله عنهم -: إن أبا ذر - رضي الله عنه - يقول: الفقر أحب إلى من الغنى، والسوق - أي المرض - أحب إلى من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من انكل على حسن اختيار الله له لم يتمتنَ غير ما اختار الله له".

الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين :



الله عليم حكيم، جعلك غنياً، أرادك أن تقرب إليه بإتفاق المال، الحمد لله على نعمة الغنى، الآن جعلك فقيراً، أرادك أن تقرب إليه بصرتك على هذا الامتحان، إذاً اختار الله لك الغنى، أنت راض، اختار الله لك قلة المال، أنت راض، اختار الله لك أن تكون قوياً، أنت راض، أراد أن يمتحنك باستخدام قوتك في طاعته، أراد أن تكون ضعيفاً، أنت راض، جعلك وسيماً، أنت راض، غير وسيم، أنت راض، صحيح، راض، مريض، راض، هذا هو المؤمن، قالوا: إن الرضا قبل القضاء عزّ على الرضا، لكنه بعد القضاء هو الرضا الحقيقي، أي الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين.

لذلك من انكل على ماله ضلّ، ومن انكل على قوته ذلّ، ومن انكل على الله لا ضلّ ولا ذلّ. سيدنا عمر - رضي الله عنه - يقول: "الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر".

أي هناك صبر وهناك رضا، الرضا أرقى من الصبر، إذا أحب الله عبده ابتلاء، فإن صبر اجتباه، وإن شكر - أي رضي - اقتناه.

قال بعض العلماء: الرضا أقسام ثلاثة: رضا العوام بما قسمه الله لهم، رضا الخواص بما قدره الله عليهم، رضا خواص الخواص يرضون به بدلاً عما سواه.

والحمد لله رب العالمين